شعر



رعشة فى الأفق

أحمد سويلم





رعشة في الأفق

شعـ ـر

أحـمد سويلـم

• الفهرس

قصائد الديوان

- غزالة
- الجوقة
- النشيد
- لحظة دفء
- قول وقول
- الرهان
- الارتحال في شرايين الجسد
- الميلاد الآخر
- مملكة النار والأشجار
- فاصلة الموج والزمان
- لؤلؤة العينين
- رعشة في الأفق
- نبوءة الشعراء
- العصيان والمنفي [إلى عبد الوهاب البياتي]
- الخرس
- الصقر
- الدمى والحجارة [إلى الطفل الذي ولد رجلاً]

البـــدء

سفَر أنتِ
والجناح على متن هذا الفضاء.. يطير
أترين..
بلغنا من الأفق سدرتَه
أم تراقبنا من بعيد عيون الصقور
بدأ الدرب من خطوة الشوق
والحلم من نبضة العشق
والشعر من دفقةٍ في الصدور

كيف هذا الزمان الذي لا يمر سريعا
مر يختطف القلب مثل الأثير؟
كيف أمسي بقبضتنا نتحكم فيه
ونعلن عصيانَنا
كي نمهد عمرا جديدا لنا
ونمد الجسور..
هكذا انطلق الطير من فتحة القلب حرا
نعلّمه كيف يغزو الفضاء الكبير..

وكيف يحطّ على كوكب العشق
يمطر أحلى الرسائل
أصفى القصائد..
يلبس تاج الأمير..
إنه الآن مهد للقلب
أن يتدفّقَ
للعين أن تتألّقَ
للعشق أن يتخلّقَ
هل نشبع الآن
أم أن ما بيننا ممعن في اختراق الستُور..

إن ما بيننا الآن
لا يعرفُ المستحيل
يحطّم أعتى القيود
يصارع قَهر الزمان
ويعلى منارات هذا الحنين الأثير
إن ما بيننا بدَأ الآن
منهمرا.. طيبا.. وغزير..
قدر فاجأ القلب بالدفءِ
ثم استوى
شامخًا.. ونضير..!

عـــودة

تلوحين فوق الروابِي
فتطلع شمسي التي غَربتْ منذ حين
تغيبين عنّي..
تكف الينابيع.. يحترقُ الياسمين
وحين يسائلني الشعر عنكِ
أجيب بأنك ديوان عمري..
ودفء السنين
وأنى يصادفني الحزن

حين يباعد بيني وبينك
هذا الزمان الضنين..
أحبك!
أعلنها في جبين السفين
وأرقي على حملها فارسا
فأطرز منها الحكايا
وانحتُ منها لُغاتي
وأكملُ ملحمةَ العاشقين
وحين أراك على صفحة النور
أسرع.. ألمس قلبك
حتى لو احترقتْ نشوتي في الجبين
وحين تشدّين خطوكِ
يعبر جسر الأنين
أضمك تحت جناحي
فيسرع خطوك في لهفة العابرين
أحبك!
حتى لو احترقت كلماتي

أدمى اشتعالي إليك
افتقاد اليقين..
تغيبين عني..
تلوحين..
وحتى الجراح التي مزقتنا
غدتْ جمرةً توقظ الروح
مشبوبةً بالحنين!

اللقـاء

حين تصافحنا
حوم سرب حمام أبيض
فوق يدينا..
حين تلاقت أعيننا
فتح الموج الأزرق.. فوق الشطّ ذراعيه
للموجِ الأسود..
همستْ شفتانا بمساء الخير
فتدحرج فوق الخدين

شعاع القمر الساهر
سألتني: من أنت؟
وأنا أشهد في أحرفها نبض القلب الحائر –
سألتني: من أنت؟
قلت لها: شاعر..
نزعت من كفيّ يدها في قلَق
همست: أنا أخشى الشعراء
ألم ترهم في كل مدى كالخطو الخاسر؟

قلت لها: أعلم..
- ويقولون القول الساحر
قلت لها: أعلم
قالت: يتّبعهم الـ..
قلت لا مبتسما:
محال أن يحيا الشاعر
ولا يملك من دنياه
جناحي طائر
صاحت: هذا عين الكذْب
قلت لها: أعذب شعر أكذبه

قالت: وأنا أكره كذب الشعراء
قلت لها: آه من كذَب الشعراء
هو أجملُ حس تحملُه من قلب القلب..
صمتت لحظات..
فإذا عصفور الحلم ينَقر في شوق
فوق الجفنين..

مدت يدها ثانيةً قالت:
ما أجمل أشْعارك حين تُجن
فلنبدأ قصة حب لا تتوقف..
ولنشعل جذوة دفء لا تُطفأ
فزتَ الآن بقلبي يا أصدقَ شاعر
فزت الآن بقلبي..
ما كنتَ الخاسر!

* * *

الوعد والميلاد

- وطني القصيدةُ
طوقتني..
لكن وجهكِ بابه الوردي
يأخذني إلى دفء الحروف المطمئنة
وأرى سنا عينيك يسري في دمي
فيفجر الشوق الذي هاجرت في
ملكوته عمرا
وأشقتني خطاه..

- وطني القصيدةُ
وحين أرسم وجهك القدسي فيها
أسطورة الزمن الذي عصي الزمان
شقت بحار الليل نجما من أمان..
- وطني القصيدة
فامنحيني جرعة من نبعك الصافي
وجودي..
هذا أوان تثمر الأشواقُ فيه

وربما يغشاه موج في غد
فتجف أحرفُنا على شجر الأنين
دقتْ هنا أجراس حلمي المستحيل
أحزانُنا خضراء – أعلام –
بوحنا جمر عليل..
وغد على جفْن الذبولْ
فبأي لون نزرع الآفاقَ
حتى نستعيد الشمس من كهف الأُفول
- وطني القصيدةُ
طلقةٌ من زفرة الأرض المواتْ

وشم على ماض وآت..
دمع على هذا الرفات..
هي أضلعي مهدتُها طرقًا إليك
أطلقتُ فيها سكرة العشق التى
لا تنحنى للريح
لكن تصطفيها الطير سرا لا يضيع
وأظل أرسم في العيون
خرائط الميلاد..

لا أبغي الرجوع..
- وطني القصيدةُ
لملمي أوراق عمري
واصنعي عقدا يطوق جيدك الذهبي
إني أصطفيك غزالتي
سيفًا على زمني
مدائن أحرفي..
لا شيء يطفئُ لهفتي
إني اصطفيتُك والجراح على ذراعي
طهرتني..

أظمأتْ عمري
فعادتْ خطوتي
وعدا يضيء بلا انطفاء..
١٧ – ٧ - ٢٠٠١

* * *

لهفة

يا قوتة الروح
جودي السنى.. جودي
وجملي زمني..
واشفي مواجيدي
الشعر أوسمتي
والبوح أجنحتي
لكنك الأفقُ الشادي أغاريدي
قد أوسعتني رياح الليل عاصفة
وأمعنت..
وشوت في جمرها عودي
وخاصمتني -سنينًا- خطوتي
ألما..
وأسقطت غربة الدنيا عناقيدي
ما كنت أعرف..
أن العشق لؤلؤة
لو لم أجد بدمائي استرخصت جودي
هذا دمي..
مزجت فيه تراتيلي
وذاك عمري

أحتمي في حلم مولود
لأبدأ الزمن الآتي
وفي كبدي..
جمر اعتصارٍ
وشوق للمواعيد!

عروتنا وثقى

عروتنا وثقى
لا تنفصم ولا تتمزق في الريح
عروتنا وثقى
تجعلني فارسك المحبوب
وربان سفينتك
وشاطئك الآمن
عروتنا وثقى
تمتد مدارا حول الكون
تحدث عنك نجوم الليل
وكل الألواح بظهر الغيب
عروتنا وثقى..
مهما عاندت الأيام
ومهما انغلقت كف الزمن علينا
مهما سقطت أشجار الدرب
عروتنا.. سوف تعيدك ثانية لي
أجمل..
أطيب.. أنقى عشقًا
لأوافيك وأفتح لك أحضان الشوق
عروتنا وثقى
لا تقبل أن تنفصم ولا تتفتت

عروتنا
لا نقبل أن نسقطها من أيدينا
أو نجعلها تفلت

عودي لأشعاري

عودي لأشعاري
تَرويك من نبعي.. وأنهاري
تدنيك من بستان أزهاري..
عودي لأشعاري
تحنو علي بهمس أوتاري
تعطيك من نوري.. ومن ناري
عودي لأشعاري
الحلم فيها طيب
والشوقُ موج عاصفٌ
يسري بأسراري
والدفء..
يا للدفء في حسي وفي بوحي
وإضماري..
عودي لأشعاري
لو جاءك الشعراء يوما بالقصائد
يعصرون نجومهم فيها
لما صمدت أمام قصيدة مني
تسقيك من صفوي وإيثاري

لو أزهقوا في ساحة الأحلام أحرفهم
لما بلغوا شفا حرفي.. وإصراري..
عودي لأشعاري
أنت التي عاشتك عمرا
واصطفتك عيونها.. وشفاهها
ودماءها..
وتشبث بك في مدى الإعصار
أنت التي أحييت فيها النبض
حتى باح بالأسرار
فأتتك بالعشق الذي هز الجبال
وزلزل الأحجار
واخترق المدى.. وأطاح بالأسوار
عودي لأشعاري
أو فاقرئي ما شئت غير قصائدي
كي تدركي صدق الشموس وبهجة الأقمار
عودي لأشعاري
فمنذ عشقت قلبك
لم أحِد عن نوره الموثوق في نبضي
ولم أعرف سوى
تلك التراتيل التي
تصفو بأشعاري..

عودي
عودي لأشعاري

الخلود

هذه ليلةٌ
هربت من ليالي الزمان
حين أعلنت عشقي
وكانت عيوني حلم المدى
وسنا الملكوت..
أنت يا ربة الحب
جودي علي بشهد الورود
فأنا عاشق لا أمل النشيد
وأنا راشف عسل الحلم
من مقلتيك..
ولا أرتوي منه..
لست أحس الشبع..
هذه ليلة القدر تجمعنا
يستجاب دعاء المحبين فيها
وهاهو نور يطل علينا
يبارك ما كان بيني وبينك
يمنحنا باقة من شراب.. وقوت

أمثولة

يحكي جدي
عن عصفور بري لم يصدح بغناء بعد
لكن يأتيه صباحا وينقر نافذته
ويقول كلاما لا يفهم..
ثم يطير إلى شجرة جميز
يستدفئ في عشه..
ويعود صباحا يأتيه..
ذات صباح جاء العصفور
ونقر نافذته..
لكن لم ينطق بكلام
أدرك جدي ماذا يخفي الصمت لديه
كان يريد وداعه..
يبحث عن نافذة أخرى
تدرك ماذا تعني كلماته..
الجد أشار إليه بدموعه
لكن العصفور البري
تعثر في أسلاك نارية
فاحترق عليها..
كي يصدح في عالمه الآخر
بالنغم العذب!

السر

صخب في ضلوعي
وأسطورة تنبجس
ثم تصعد مرقأةً
فتطل عيونك منها
ويصفو القبس
فأسائل عنك الرياح
فضائية أنت..
برية أنت
مائية أنت
أم أنت سر المدى المحتبس؟
أي ضوء أرى يخرق الليل..
أم..
أي همس يبدد هذا الخرس
وأنا العشق بين ضلوعي كرمة خمرٍ
وإشراقة في الغلس
حسبي الآن أنك أسطورة العشق
والحلم..
أو خلسة المختلس..!

قيثارة

مقتحما كنت لها
بسلاح العشق
ذبت بعينيها وببسمتها النورانية
ومداها الطلقْ..
أطلقت عليها اسما لأدللها
لا يعرفه غيري
لتكون لقلبي واحدة
ليس لها سبقْ
أشهدها – حين أراها –
عذراء بحبي
لم يمسسها بشر قبلي
فأنصبها أجمل ما أبدعه ا
من الخلقْ
هي لي قبلة عمري
قيثارة عشقي
لهبي..
أسكر في حضرتها سكْرا
يفقدني النطق..
فتناجيها كل لغات الشوق بلا صوت
وأحس بأنا في أسر الحب معا..

ليس لنا عِتْقٌ!

صورة

[عن لوركا]

امرأةٌ تتثنّى في مشيتها
يتبعها عشاق أربعة
صعدت تلاً..
صعدوا معها..
مرت لحظات
عادت تهبط بثلاثة عشاق
التفت الجسد النوراني يمينًا
غشّاه ضباب

حين انقشع ضباب الجسد
ارتسم على مرآة الليل..
جسد امرأة يحرسه اثنان
التفت الجسد يسارا وخطا خُطوة
ولّى أحد الحراس خطاه يمينًا
غاب بلا عودة..
الآن توحد في ساحات العشق الوهمية
جسدان..

لكن التلّ انكفأ على نفسه
فغدا مثوى للحلم القادم!

* * *

احتواء

يا أيها البعيد..
حينما..
تمر بي في لحظة
هاربة من زمن اللقاء..
كيف لا تنظر لي
من فتحة القلب..
وتطلق النداء..
وكيف لا أشعر

أنك اقتربت مني
حانيا
في لحظة احتواء؟!

٢٥ – ٣ – ٢٠٠١

احتراق

حلم بحلم الكون..
أسكرني..
أسلمته نفسي.. فأغرقني
قطراتٌ بين يديه ذاكرتي
وضممتُه دفئًا
فأشبعني..
أهواه.. أم ألقاه منذُ متى
والعمر بين يديه يعصرني

أشقى..
إذا أغدو له ألما
وإذا احترقتُ له.. يلملمني
حلم بقلبي..
إن شقيتُ به
إذا دنوتُ إليه.. يشعلني
أرضاه يومي

واكتمالَ غدي..
وهوى أذوب به..
فيدفئني!

* * *

تميمة

أخشى احتراقَ الموج في عينيك
أفقد بعدها شط الأمان..
أخشى احتدام الصمت في شفتيك
يصعقني على سيف الزمان
شعري اقترابك.. واعتصارك
واستعارك في دمي..
وتميمتي.. عيناك..
حين تعز في الدنيا التمائم..

أرضي ابتلاع النار..
حين أرى وعودك تحتويني
تنقشُ الوشم المقدس
فوق صدري..
أفتديك.. وتفتديني..
فإذا تناءينا..
فخيطُ العشق موثوق بقلبينا
تهب النار.. تشحذُه
وتمنحه اختراق الصخر..

عصفَ الموج.. إرعاد المطر
ها قرأتك سيرة للورد
للعشق المباغت
للتواريخ التي لم تأت في كتبي
ولم تُفلح بتدوين الأثَر..
تأتين أنت
تؤرخين.. وتعشقين
وترسمين على شفاهي
ألفَ أغنيةٍ

لأنك تملكين توازن الأحلام
في قلبي..
وتُجرين الجداول مرةً.. أو حلوة
وتواعدين.. تواعدين..
حتى إذا نادى الحنين..
ضممتُ صدرك مرتين
وتفجر الشعر المعذّب داخلي
وخشيتُ صمتك
واحتراق الموج في عينيك
يصعقني على سيف الزمان!

طقس

طينتي ودعتُها
منذ عشقتُك
وشربتُ النور من كفيك
واسترختُ حلما فوق عرشك
أعصر الخمرة من خديك
أجتاز سماوات الليالي المعتمة
فأنا فوق جناحيك أطير
وأفك السحر عن أحجار دنياي

وأتلوى من تعاويذي
فيدنو الكون في كفي
ناموسا من العشق الحلال
ورؤى ليس له أي مثال
....
آه يا واحدتي
كل طقوسي في يديك
لأراك
نعمة ا   إلى الكون

وآيات الشهود
وصلاة الحب في الليل..
وأسرار الوجود..
ها أنا دنتُ بدين الحب أنى أتوجه
فإذا بددني الشوقُ
فإني أتأوه..
وبوجد العشق أغدو
سيد العشق المفوه..
أسكب الدمع على الغائب من عمري

وأشدو.. وُأُنَهه..
فيشفّ القلب..
يلقي طينة الأرض إلى الأرض
يشفيني تلاشيه كأني أتألّه
آه.. يا واحدتي..
إني بعشقي بك أشبه
نزوتي إشراقةٌ فيك
وسكري يتـ ـنزه
عذبتني طينتي عمرا
وآن الآن أن أرشف
من وردي شهده!

النبوءة

آيةُ الحلم أقرؤها في عيونك
يا امرأة من لظى الشمس جئت
فأدفأت قلبي..
وأجريت عبر الشرايين عمري
وجددت شعري..
فألقيتُ فوق يديك قوافيه
عطرت دربك بالأحرف
المستحمة بالنور

واستيقظتْ من غيوم التواريخ
أوراق عمري..
أنا شاعر لا أفيق من الشعر
أنا عاشق لا أفيق من العشق
لكن حلمي بك الآن حس جديد
على جرح عمري يضيء..
ويكتب فوق حوائط هذا الزمان
سيرة للجنون!

لست قيسا جديدا
ولكنني جن في دمي..
فتقاطر يحكي زمانًا من القهر
كان على أُبدلُ جلدي
أجدد بين الخلايا دمي..
وها أنذا في زمان البلاء
أوافيك مكتملاً
أرتوي من جراحي..
أجيئُك قلبا جديدا..
أصلّي صلاة الجنون

أصلّي لعينيك
للحلم أشهده كالنبوءة
يمنحني الخطوة المستحيلة!

* * *

غزالة

يوم سويتها في يدي
زنبقة..
أثمرت في ضلوعي
تنور في داخلي وجهها
فارتقى يمنح العطر أشجاري المجدبة
وتلفتَ نحو الصحاري
فأضحى غزالة عشق وأسطورة
تقبض الشمس..
كانت تردد أغنية الشوق
والخضرة الخصبة..
من ترى الآن يمنحني قدرة العدو
حين تهب العواصف حولي..
وتنظُرني الأعين الحانية..
فأصارع خطوي..
أعانق خطو غزالة عشقي
وأعصر في دن عمري
خمرة أحلامي القادمة
من ترى الآن يمنحني قدرة العدو
والرؤية الصادقة!

الجوقة

لمحتها..
تحاور النجوم والأقمار
وترتدي ثيابها البيضاء.. كالنوار
لمحتها تمسك في يمينها عصا
تشير للعواصف الهوجاء
أن تكف..
لا تمس ذلك المدار
تسمرت عيناي في عيونها

غنيتُ أعذب الأشعار
غارت كواكب الليل
وحاولت تعزف مثلي..
أجمل الأوتار
لكنها لم تستطع..
رأيتها.. تهبطُ من مدارها.. وتكتفي
بأن تكون لي الجوقة
تحملُ في لقائها العطور والأزهار!

النشيد

لأنني استعدتُ فيك
الحلم والنماء..
والنور والبهاء
والدفء حينما يضمنا
في لحظة ارتواء
لأنني أستعد ما كنت افتقدته
في لحظة انطفاء..
أطير – يا واحدتي – الآن

إلى مدى الفضاء
أحملك الآن على جناحي
وأوصي الشمس أن تكون حانية
والريح أن تصير بيننا رخاء
هذا أنا الآن
أبدّلُ العظام
أبدل الدماء.
أنظر في عينيك حلمي الذي

كاد يضيع من يدي.. هباء
أدرك أنني في كلّ مرة ألقاك
كأنني للمرة الأولى أراك
يلفحني لهيب الشوق والحنين
فأذوب في اكتواء...
هذا أنا الجديد
والوحيد
والفارس
والعاشقُ

والنشيد
والنداء
لن أكف في ليلي وفي نهاري
أن أصوغ من نجومي وشموسي
قلائدا لصدرك الحنون
تحميك من عيون الحاسدين
لن أكف في ليلي وفي نهاري
أن أملأ الكأس بعشقي لك

أن أظل كل لحظة
في لهفة يرقص فيها القلب
تبرقُ العينان..
تقبض فوق حلمي اليدان
أصطفيك من كل النساء
لأنك الآن بقلب القلب واحدة
عرشُك مشدود لأنجم السماء!

* * *

لحظة دفء

إن لم تقبلني في ظل عطائك
إن لم تُدخلني في دفئك
سأظل الهاوي في جب العتمة
سيظل صقيع الدنيا في قلبي
وجحيم الدنيا في عيني
وسآوي للجبل فلا يعصمني
وسأرنو للشمس فتصعقُني..
إن لم تقبلني

فمن يغفر ذنبي
ومن يتجلّى في قلبي
ومن أدنو منه.. ويدنو مني
ومن أدعوه.. حتى لا أقنط من رحمته
ومن إذ ينساني كلُ الناس
أراه يذكرني..
إن لم تُدخلني في دفئك
فمن يحميني من برد الإثم
ومن ينشُلُني من جب السقْم

ومن يحلّ عقدة قولي. فأكف العجم
ومن أراه يزين قلبي بالحب..
ويحييني من صمتي
ويبعثني من موتي..
ويمنحني أجنحة الشوق
إلى ملكوته
إن لم تقبلني..
فما جدوى الدنيا في هذا الزمن الصعب
وأنا أشهدها فاتنة الوجه

وسوداء القلب
إن لم تقبلني
فانثرني عشبا وهواما
تذروني الريح..
فتمحو من لوح الدنيا ذكراي
وتظلّ الأرض تدور.. تدور!

١٢ – ١٢ – ٢٠٠١

* * *

قول.. وقول

للنيل يقول:
احملني في موجك
طهرني في طميك
زدني من خصبك
قال النيل:
سبعة آلاف أجري
بين شرايينك..
دعني أنتظر الآن

أن تحملني لحظات
في قصة عشقك!

* * *

الرهان

لو أنه الصدى
شق إلى نصفين صدره
وأشعل البحار في عيونه
بالموج مزبدا
لو أنه الصدى
أعاده من حيث عمره ابتدا
لو أنه استطاع أن يزرع
في السهول.. والوهاد.. موعدا!
....
لو أنه الزمان
دق على طريقه الأوتاد والعيدان
وخيم الصفصاف والليمون والنخيل
وأسكن العواصف الهوجاء.. والطوفان
لو أنه الزمان..
كف عن اغتياله – لمرة – وخَسِر الرّهان..
لو أنه الشغَف
لم يستجب لأعين الجرذان
عند المنعطف..
فقطر الأوجاع من دمائه
وصاغ من لهيبها النطف

لو أنه الشغف
أحالّ جرحه مسافة
فحطّ طائر السكْرة نشوان
على الكتفْ..

....
لو أنه ارتحل
يبحثُ كيف يرتوي من حرقة الظمأُ
تشهقُ عيناه إلى السنى
وتكتحل..
لو أنه أعطى لكل شيء ظهره
وراح يشتعل
لو أنه تجرد – الأمس – من القشرة
وارتمى في لهب الشوق بلهفة الثمل...
لو أنه!
لكن أحلام الخُطى في كل مرة
تعجز أن تضيء صدره
وها هو الآن – كأي مرة –
يطيلُ من وقفته على الطّلَلْ!

١ – ١٠ – ١٩٩٩

الارتحال في شرايين الجسد

- قفا نرتحل مرةً
في غبار العيون..
ننقب عن وجع الشوق
نُحصي هشيم الخطى المسرعة
هدوءا.. هدوءا.. بلا قعقعة..
نبلَ الورد فوق الأكفّ
كأن الذي ظل حلما – طويلاً –
هو الآن لا يتّقي مصرعه..

إنه الآن يترك بعض رماد
ورائحة لخريف يؤذّن بالقهر
يسألُ: من يا تُرى ضيعه؟.
فهل بقي الآن ما يجعلُ الروح نجما
وهل بقي الآن ما يجعلُ القلب ملْكًا
وهل بقي الآن ما يجعل الخطو شوقًا وجمرا
- قفا نرتحل مرةً
في شرايين هذا الجسد

يوجهني تحت هدبي طيفٌ عني
- قلتُ للنفس: مهلاً
ربما كان حلما قديما
صدى لنداء تدفق يوما
على شفة الريح
قالت النفس: أمسك عليك اتّزانَك
وانظر لتشهد فصل القناديل
حين تغيم.. ولا تجد الزيت..
وانظر لتشهد فصل القناديل
حين تغيم.. ولا تجد الزيت..
وانظر لتشهد ما كنت تحسبه آية في التراتيل
كيف غدا سِفْر قهر وموت..

وانظر لتشهد من كان قزما
وقد بعث الآن في الناس أرفع سمت!
- قلتُ للنفس مهلاً
ربما أشرقت فيهم الشمس
من قبل أن تطلُع الشمس
فغذت خطاهم.

وأشعلت الوجد فيهم
وخلفَت الخوفَ فينا.. وبعض العلْلْ!
صاحت النفس: أمسك عليك اعتصارك
وانظر لتشهد أنك لست من الحاصدين
ثمار الكروم..
ولستَ من المعاصرين حليب الأباطيل
بين أكفّ اللئيم..
ولست من الطارقين صباحا
دفوف الرياء لكل ذميم
- هل عددت أصابعك الآن؟
صلّ لربك أن أصابعك العشر عشر..
وأن قصائدك الألف ألف

وأن خطاك اشتعالٌ
ووجهك لم ينكسر فيه أنف
أمسك عليك اعتصارك
ودع كل هذى العروش لأصحابها
فغدا تتهاوى..
وليس يدوم سوى الشعر – متقدا –
ليس يطفؤه القهر

ليس يدوم سوى الشعر – مرتحلاً –
ليس يوقفُه ضجر المارقين!
....
قفا نرتحل في شرايين عصر المنُون
نَدق على حائط الليل..
نُسقطُ أعتى الحصون
قفا نرتحل في غبار العيون
وإن سلقونا بألسنة
أو رموا بالجنون!
١٠ – ١٠ – ١٩٩٩

* * *

الميلاد الآخر

الزمن احتالَ علي
فرافقتُ الأشباح
وجبتُ دهاليز الريح
وصادقتُ وحوش الغاب..
أرفض أن ألبس أقنعةَ المهزومين
وأن أتحدث لغة المقهورين..
وأخطو.. أخطو..
لا تجذبني الأرض

ولا يغرقني الموج..
أجد براقي منتظرا خارج أسوارِ الزمنِ
فأصعده.. يصعد بي..
نتجادل حول نوائب عالمنا
فأراه التزم الصمت..
أثرثر مأخوذًا بالدهشة
أعلن أني درويشٌ في ملكوت البوح
عل براقي ينصتُ لي

فيمد إلى أذني حبلَ اللغة الغائبة
ويحشرني تحت لواء الحكمة
يمنحني عود بخور.. جمارةَ نخلٍ
نطفةَ ميلاد للغد..
لكن الزمن احتال علي
فسلب ضياء العينين
وسرق المدخر بصدري
وانفلت يباهي بالفوز علي
- الآن أصارع قدري كي يمنحني ميلادا آخر
لا يثقله الزمن.. ولا يشفيه الحزن..

ولا تنفيه الريح
ولا تتلقفه ألواح الموت
الآن أسائلُ قدري:
ماذا ينقصني..
وأنا خاصمتُ الزمن طويلاً
أعطيتُ له ظهري..
ورحلت بعيدا عن ملكوت ينأى عن أرضي
فلعلي أجد الشوق الناضر..

أمنحه زمنًا من صدري
أمنحه عمرا محتدما لا يطويه الصمت
ولا تكسره الريح..
ولا تنفيه اللغة الغائبةُ
ويكتب لي ميلادا آخر..
يكتب لي ميلادا آخر!

٣ – ١١ – ١٩٩٩

* * *

مملكة النار والأشجار

لكأنك صرت الفارس وحدك
تتوهم أن البوابات السبع
أقواس ورود تشتاق إلى طلعة وجهك
وكأنك صرتَ العاشقَ وحدك
تتوهم أن قصائدك الألف
تُفلح في جذب قلوب المحظياتْ..
....
لم تدرك أن الزمن القادر

يحرق كل صباح جلد الوجه
ويشوي كل مساء عظم الصدر
وتظلّ الريح..
تحملُ في الفلوات دخان الوجع
تُذرّي في عين الشمس رماد الشوق
لم تدرك أنك في مملكة أرضية
تتصارع فيها ألسنةُ النار
وتصطرع الأشجار

ولا تتوقفُ في القلب جراح الأسرار
- لم تدرك أنك مشنوقٌ من حلقومك
حين تبوح
ومقهور في حسك حين تنوح..
ومذموم تتخفي
إذ حلّ بهذا الزمن القاهر دمك المسفوح
أتريد الآن رداء الغُربة
يمنحك عبورا لبلاط العرش
أم أنك تحلُم أن تصبح صقرا ملكيا
تنقض على أروقة الرغبةِ

تغنم.. تسكر ما شئت
.....
- قفْ والتفت الآن
أطلق ساقيك إلى ما قبل صعود
التل المنهار..
أنزلْ عن وجهك أصباغ الزمن

ولا تطمع في مملكة النار
واجعل بينكما أدغالاً.. وقفارا..
وبحار..
عد.. حيثُ صباحا ودعت ظلال الأشجار
واجعل سيفك يأنف ثانية غمده
فلعلّ الدنيا تقبلُ منك العودة..
لعلّ الدنيا تقبلُ منك العودة!

٢ – ١٢ – ١٩٩٩

* * *

فاصلة الموج والزمان

البحار التي تتقافز بين العيون
وتدرك أين الطريقُ إلى كُوة القلب
البحار.. البحار..
أنا شوق ملاحها المتَلَحّف بالجمر
يشتعل الحرفُ.. يطلقُ بوحا
ويشرقُ موجا..
ولا يطلب الشطّ
لكنه عاشق للغرق..

وأنا زورقي ألفُ فاصلة.. وحنين..
لا ُأسلّم أشرعتي للغرق
وأراه – الزمان – على مهبط الموج
يحصد نبضي
يحصد لهفة عيني
لكنني لا أعير له نظرتي
وأظلّ أشق عبابي.. بحرفي النزقْ
- كم أرى جانب وجه هذا الزمان

يمزق أشرعةً
وعلى جمره تحترقْ
ثم يضحك من قلبه فائزا
في سباق.. يظلّ به العاصف المنطلقْ
تتناثر من حوله مهج صادياتْ
عيون – برغم ملوحتها – عاشقاتْ
وألسنةٌ لم تزلْ تتشوقُ للبوح
لم تختنقْ..
وأنا لا أزال أحاولُ أصلح أشرعتي
وألملم ما يتناثر حولي..

أخفيه عن عاديات الزمان
لعلي أرى نجمة تهبطُ الآن لي
من ظلال الأفق
فأحاورها لحظة
وأحملها وزر صمت المدى
وهو يغفلُ هذا الصدى
وهو لم يستمع لصراخ القلوب
وقعقعة الصدر حين تكسر فيها الضلوع
وبوح اللسان.. وشكوى الحدقْ

فتمد إلي ذراعا من العشق
تجذب أحلام تلك الحشاشات
تنفخُ فيها الرمقْ..
- ها أنذا الآن
ضاعت خرائط موجي
لكنني مبحر خاف نبضي القلق
ربما يصمد الغد زوقُ شوقي
فلا ينصعقْ
ربما.. ربما.. ينسحقْ..

ربما.. ربما..!

١٧ – ٤ – ٢٠٠٠

* * *

لؤلؤة العينين

أترى..
صمتتْ كلماتي فجأة..
أم صارتْ أحجارا تتحشرج
في حلق الصقر..
فيعجز عن صيد فريسته
في البر.. أو البحر..
أم صارتْ كلماتي نهرا يجري بمياه آسنة
لا تتبدل..

أم أشهدها سحبا.. لا تهطلْ
- أفتح لؤلؤةَ العين الآن
أحسبها تتقعر حتى تُمسك
بنجوم الكون..
بأمواج البحر..
بأوتاد الأرض
لكن كلماتي ذابتْ في صهد الشمس
وغاضت في ليل عباب البحر..

فتخلق منها وحش الزمن
يسدد لي أينابا ومخالب
حملتني من أرضي الوداعة
إلى أقصى قطب ما وطئته قدمان..
قلتُ له: ما ذنبي؟
قال: جريرتك الكلماتُ المسنونة
فلماذا لا تتوقف عن نبش رماد الصمت
قلت له: ألبسها – كلماتي – جلدا
أتغذاها فاكهة
أتذوقها خمرا

تنشُلُني من عثرة قدمي
تضيء لقلبي النبض..
قال: تحمل – ما دمت على عهدك –
ذبح القلب..
وسفك الخطو..
....
أدرك أن الزمن له عشرةُ أوجه
بعض منها في صدره..

وبعض.. خلفَ قفاه..
وأربعةٌ في كفيه وفي قدميه..
وأنا لا أملك من كلماتي
إلا الوجه الواحد..
فماذا لو أن الزمن اغتالَ خُطاي
وتعثرتُ بوجهي فوق الرمل..
وتحسستُ بأظفاري الكلمات الباقية
فألمسها صارت أحجارا باردةً
لا تتفجر..
ماذا عن وجهي..

ولؤلؤة العينين..
صارت غائمة بين غبار الصمت!

٣ – ٥ – ٢٠٠٠

* * *

رعشة في الأفق

منذ أن كان فرخًا
يدثّره العش..
قد من القشّ أحرفه وكساها من الطين
فانطلقت في الفضاء منارا
وأشعلت الغيم نارا
فأسقطت الشهب تحرقُ عشب الجداولْ
كان عليه يقيم السدود ويختزن الماء
حتى زمان جفاف الحواصلْ

لكن عصفَ الرياح استباح خطاه
فشقّق حلم الطفولة
لم يبقَ منه سوى رعشة في الأفقْ
عاريا يقفُ الآن.. لا شمس تُدفئوه
لا توقّد في القلب يشْعلُه
غيمةُ النار خامدةٌ
وهو يأبى الرحيل..
كان قد غرس الأمس صمتَ الحصى
في الخطى المتعبة

مرةً ألفَ الموج..
والبحر لا يدرك الألفة الوادعة
ظن أن جناحيه أشرعةٌ للرياح
وأحرفه شرنقاتٌ لأفراخه القادمة
وما اتخذ الأمس حصنًا
وما اتخذ الغد حضنًا
فإذا البحر يشحذُ أنيابه

ويفتّتُ أحلام ملامحه
فوق شاطئه..
فتغيم شموس..
ويهدأ موج..
ويقبلُ ليلٌ يمد ولائمه القاتلة
- هل يعود إلى عشّه الفرخُ ثانية
أم تولاّه هذا الدوار اللعين..
هل تذكّر حين خطا في الوهاد فتى
أم رأى ذكريات الصبا..
قد أطلّت مراوغةً بين أحجاره ماضي السنين
فانطوى وجه تلك الحروف التي تستعيد الحنين..

إنه الآن يشقى بحلم الطفولة
يغرس في الطمي أقدامه..
والجداولُ تنكره..
لم يعد ماؤها الماء
والعشب.. ما عاد عشبا
فكيف له أن يظلّ كما كان
فرخًا يدثّره العشَ

يغرس في قدميه انتماء الضلوع
إلى أرضه المخصبة!

٢٥ – ٦ – ٢٠٠٠

* * *

نبوءة الشعراء

أترى.. كف الشعراء الآن
أن يغتبطوا بالشمس
وأن تنثالَ قصائدهم مطرا
تتطهر فيه الأرض
ويشفى فيه القلب!
أتراهم عجزوا عن رسم غد يخصب
في زمن الجدب..
وتوارتْ في الليل نبوءتهم

في أحضان الأعشاش الخربة
أترى.. ثـقل عليهم أن يتغنوا بالحب
خنعوا لسياط الزمن
فأدموا أوراقَ قصائدهم
فإذا جفّت صنعوا منها أدمغةً
ودمى جوفاء..
ورضوا أن تشقى أحرفهم
فوق جدار الصلب!

ظل الشاعر زمنًا يحرقُّ جلد الخوف
ويمزقُ أقنعة الصمت
فتسري النشوةُ في أضلعه
فيصير إلها بشريا..
وإذا الشعر جوادا يصهلُ بجناحين
ولا يخشى الصعب..
فلماذا انكفأ اليوم سقيما
لمخالب هذا الزمن
ودقّ على درب الصمت هزيمته
واستسلم للكرب..

ماذا لو نبحتْ في الأرض
كلاب الشكوى والبلوى والقهر
فتجف حواصلنا من ماء النهر..
أترى من سوف يلقّن أطفال الدنيا
في غدنا..
أن الخصب يدوى في صمت القحط..
وأن الكرم إذا لفحته الشمس
يندى في قلب الحصرم..

وأن النار تشب لهيبا

- إن شئنا – فوق الثلج..

أترى.. سوف نرى حين يجفّ الشعر

ألسنةً أخرى تحملُ شمس نبوءات الغد

أترى..

من أين تجيء..

وقد دميت ألسنةُ الحب

وشُنقت في الصمت حلوقُ الشعراء

أترى.. من أين تجيء

من أين تجيء

من أين؟!

١٧ – ١١ – ٢٠٠٠

* * *

العصيان والمنفى
[إلى عبد الوهاب البياتي]

- أكنت تدري أننا سنفترقْ
حين التقينا منذ عام
وضعت كفك اليمنى على قلبك
حدقت بعينيك إلى المدى
حبست آهة الألم..
ساعتها تراجع الموتُ وعض إصبعه!
وأعلن الندم..
- أكنت تدري

أن قلبك الذي أحب هذه الحياة
سوف يحب الموتَ يوما
فتمتطي حصانك الأشهب راحلاً
ومعلنًا هذا السأم..
أكنت تدري..
أن رفاق الدرب منذ حين
تساقطوا الواحد بعد الآخر
وكنت كل مرة تقطفُ زهرةَ البستان

تغمرها بالدمع والأسى
لكي تظلّ في المثوى تغني الشعر
ترفض العدم
أكنت تدري..
أن أصدقاءك الذين كانوا قد أحبوك
تفرقوا..
فبعضهم آثر صمت القلب
وبعضهم قطّع ما بينكما من الرحم
- أكنت تدري
أن كل خطوة خطوتها

تزرع فيها الشعر والعشقَ
تجفّ الآن..
تقصف الأقلام
تقهر الهمم..
- اليوم يبقي منك
ما يبقي من الفرسان حين يسلمون النبض
في شمم..
اليوم إن توقّفَ القلب عصيا
فلعلك الآن تجرب العصيان

في منفاك..

- ما لم يأت من قبلُ أتاك

يحمل سر المدن السبع

أو سنوات الضوء

أو مملكة البحر..

أو سنابلَ الحكم!

٣ – ٩ – ١٩٩٩

* * *

الخرس

أوراقي.. بيضاء.. وصفراء
وسوداء..
ولقاءاتي.. فوق براكين الوهم
وفوق جماجم إخوتي الشهداء
وسلامي.. موثوق مثل النور الدائر
في ساقية الأهواء..
وسؤالي.. لا يمطر إلا كلمات
ساخطةً عرجاء..

ما بال حمامات القدس احترقتْ
فوق هلال الشوق
وماذا عن حلم الأطفال الآتي
من بحر دماء الآباء..
تسألني أم شربت يوما صفو الماء
ثم تكدر نهر الأرض بعينيها
صار حصى.. وشرايين ممزقةً.. ودماء
تسألني عن غربة صوتي في الصحراء
تسألني عن وعد.. كان القَسم الأوحد يوما

ثم تتناثر أعوادا من حطَب
وبقايا أشلاء
وأنا.. أنظر في عين وليدي
لعلي أقرأ شيئًا من صفحات الزمن الآتي
تتشُلني من خرسي
تسألني. فأسائلها
لا نملك إلا الحسرةَ والصمتَ
وبعض الإيماء
وأراني أمسك قلمي.. لا يسعفُني

أفتح أوراقي..
أنكرها.. تكرني
أغلقُ مظروفًا يحملُ أوراقًا بيضاء
وأوراقًا صفراء
وأوراقًا سوداء..
وأجادل نفسي محموما:
الآن إلى من أرسلُ مظْروفي
ومن يقفُ على المعنى من غير حروف
أو إنشاء

حرتُ طويلاً..
وأخيرا..
وقعتُ على مظروفي باسمي
وكتب عليه: إلى..!
وتركت فراغًا..
لكني أدرك أن خطابي
سوف يعود إلي
بلا إبطاء!

الصقر

قاطعني

وأنا أنسج للبحر عباءته

شق قميصي.. أدخل شوكته

أخرج من جوفي نطفته

أطلقها للزمن وللريح..

- قلت: وما ذنبي؟!

وأنا أبغى للسيف بنوءته

للورد وسيلته

للجسد المنهار.. مهابته

- قال: ابحث عن سمتك في التيه

وفي كتب الموتى والأحياء

وفي ما حولك من أشياء

- ماءتْ في صدري قططُ الجوع

وصكّتْ أذان القلب مناقير الكلمات

طأطأت برأسي

أقرأ نفسي:

(غام الماضي والحاضر والمأمولْ

غاب السائلُ والمسئولْ

اختلطتْ عندي العلةُ والمعلولْ
داس القاتلُ رأس المقتول..).
- أمسكتُ بنصل العينين
توهج.. يتلوى حول حلوق المقهورين
دسستُ النصلَ
تقاطر فوق الأوراق الخرساء
وفوق خطوط الكفّين
- باغتني الصقر القابع زمنًا

فوق المئذنة بلا صوت..
- كنا نحسبه حجرا
أو طميا
أو صدءا
قالوا همسا:
- مسخته الجنياتُ وحاصره السحرة
قال الأطفال:
- رأيناه في قلب حديقتنا أعلى الشجرة
لكن لم يعرف فن التحليق
فصنعنا من أحجار الشطّ لأنفسنا
قططًا.. وحماما.. وصقورا

- قال الجد الثالث قبل رحيله:
أوصيكم يا أبنائي بالصقر..
هذا وجه الغلبة فوق مآذنكم
- قلنا في داخلنا: أنظرنا يوم الحشر!
- لو أن العالم حقًا يتزلزل في جوفي
يتغلغل في حرفي
يشعل نُطَفي

لنسجتُ له ألف عباءة
- لو أن الزمن يدوي منفجرا
أشهد فيه الميزان
أشهد فيه الظلم
العدلَ
وليل الأحزان
تتوهج فيه اللوحة والألوان
- لو أن الحشر يجيء
لشهدتُ به الوطن الغائب
والحكمةَ
والثأر
وأوجاع الإنسان!

الدمى والحجارة
[إلى الطفل الذي ولد رجلا]

لونُه عاصفة
صوتُه لهب.. ورؤى جارفة
ضوء عينيه.. لؤلؤةٌ قاصفة
أسقط الوهم.. والسقم.. والعجم
واستلهم النطفَ النازفة..
شق صدر الفلاة
وألقى النُفايات
سدد من دمه الضربة الخاطفة

ثمر الغاب بين يديه..
وصبارةُ الموت
والظل - وحشًا -
إنه الآن ينحتُ صخرته الناسفة
ثم ها هو ينفخُ فيها..
فتعلو على الرمل مرقأةً
ودماء البراءة تقطُر منها..

وصمتُ التواريخ..
صوتُ الشهيد المعذب
والعربي الذي أسكن البغض قلب أخيه
فأدماه في التيه..
ونحن على ضفة البحر نحتضن الموجةَ الخائفة
نتساءل: نسقط أم يسقط المعتدون
ونجلس حول الموائد
والحلم منكسر في العيون
وريح الأسى في المدى عاصفة
فوق تلك الدروب المتاريس
والعسس المتسرب بين سطور هويتنا

ويضيقُ بنا الدرب
يقطع نصفَ اللسان
فهل أقبض العربية بين شفاهي
لتصبح عبرية أو بقايا رماد
ولا شيء يبقي من الحلم
غير دموع أحبتي الراجفة
- أيها الطفل..

يا رجل الحلم.. يا غدنا المشتهى
قد عجزنا عن الحب..
جف بنا الدمع.. والنبع..
كن جمرةً قاصفة..
كل شيء لدينا ذبل..
الوصايا.. طللْ
وخطانا.. زللْ
والحكايا.. مللْ
والمدى يشتعل
أترانا بكينا البكارةَ وهي تُفَضّ
بأعيننا الطارفة

أترانا ألفنا المحاجاةَ دهرا
وحين سئمنا..
انصرفنا إلى حكَم الكتب التالفة
أهو الجوع قبلتنا
أهو الوطن المستباح
تموتُ العصافير فيه.. نغنّي
وتجري بأنهاره كل يوم دماه..

نغنّي..
وتشنقُ فيه الحلوق.. نغني
وأحرفنا فوق أوراقنا واجفة
- أيها الطفل..
يا رجلَ الحلم
يا لوننا المشتهي
لا تُعرنا التفاتًا
ولا تدع الموتَ يزحفُ قبلَك
وحدك..
وحدك أنت اللهيب المقدس
لا تنتظرنا

فنحن دمى زائفة!

٣٠ – ١٢ – ٢٠٠٠

* *